نسق الهوية المأزومة في رواية

(خبز على طاولة الخال ميلاد)

للروائي محمد النعاس

The crisis identity system in the novel (Bread on Uncle Milad's Table) by the novelist Muhammad Al-Naas

م.د. اسراء محمد ارحيل

Lect.Dr. Israa Muhammad Erheyl

جامعة سامراء / كلية التربية

Samarra University/ College of Education

E-mail: esraamr617@jmail.com

https://orcid.org/0009-0004-8917-1769

الكلمات المفتاحية: السرد، ازمة، المهيمنات الثقافية، الاغتراب، القمع، الجندر.

Keywords: narrative, crisis, cultural hegemons, alienation, oppression, gender.

الملخص:

مرت الرواية العربية بمراحل كبيرة من التطور، فهي تعد من اهم الاجناس الادبية، كونها من اكثر الاشكال قدرة اليوم على استيعاب واحتضان القضايا المستجدة، والاقدر على تشخيص التحولات الراهنة وتطورات الحياة، ومن الطبيعي أن يواكب كل هذه المراحل التي مرت بها الرواية جهود نقدية، تتفق طرق تناولها مع طبيعة المنتج الروائي في كل عصر. وتعتبر رواية (خبز على طاولة الخال ميلاد) الفائزة بجائزة البوكر لعام ٢٠٢٢م، للروائي محمد النعاس من الروايات المهمة، التي تبحث في سؤال الهوية، والانتماء، والمهيمنات المجتمعية، وترصد الخلل الأخلاقي والثقافي في بنية المجتمعات عبر سردية روائية تناقش من خلالها قضايا مختلفة مشكلة لمجموع من الأنساق الثقافية والمجتمعية.

Abstract

The Arabic novel has gone through great stages of development. It is considered one of the most important literary genres, being one of the forms most capable today of absorbing and embracing emerging issues, and the most capable of diagnosing current transformations and developments in life. It is natural that all these stages that the novel has gone through are accompanied by critical efforts, consistent with Ways to deal with the nature of the novelistic product in every era. The novel (Bread on Uncle Milad's Table), winner of the Booker Prize for the year 2022, by the novelist Muhammad Al-Naas, is considered one of the important novels that examines the question of identity, belonging, and societal hegemons, and monitors the moral and cultural imbalance in the structure of societies through a fictional narrative through which it discusses various issues that problem a group of cultural patterns. And societal.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد:

يعد نسق الهوية منتوجًا ثقافيًا مهمًا يحضر اليوم بقوة كإحدى اهم سمات ما بعد الحداثة، وقضـية رئيسـة في الدراسـات الثقافية التي تدرس السـياقات التي يقوم الأفراد والجماعات داخلها بتكوين هوياتهم او فهمهم لذواتهم والتعبير عنها وحمايتها ولا سـيما أنها تعد الصـورة الفكرية التي تحرك العقل المجتمعي وتمثلاته الثقافية. وهذا الأمر بدوره يسـلك بنا طريقا لمعرفة الهوية والتغيرات التي طرأت على القيم والايديولوجيا اثناء المسـار التاريخي، ولذلك نجدها تشـكل نسـقا ثقافيًا مهمًا في الخطاب الادبي.

وتعَد الرواية من أهم الأجناس الأدبية في العصـر الحديث، كونها الجنس الأدبي الأقدر على استيعاب تطورات الحياة المستجدة، لاسيما الثقافية منها والاجتماعية، حيث تتشكل مجرياتها وفق أنسـاق مختلفة يتشـكل من خلالها النسـيج السـردي الروائي، واللافت في هذه الأنسـاق أنها تعالج ظواهر مجتمعية وثقافية بارزة وأخرى مضـمرة، وظهورها للعلن يتطلب جرأة فكرية ورؤية نقدية شاملة، ومنها ما يتعلق بأزمة الهوية وتفكيكها لبعض المسلَّمات التي ساد طغيانها ردحا من الزمن، ونجد هذا الأمر في رواية (خبز على طاولة الخال ميلاد) للكاتب الليبي محمد النعاس.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كون سـؤال الهوية يعد من أهم أسـئلة العصـر الراهن، فتحولات كثيرة طالت البنى الاجتماعية التقليدية والأنسـاق الثقافية، والهوية لم تكن بمعزل عن ذلك التغير بل نالت نصيبًا وافرًا منه، جعل تحديد الهوية يشوبه نوع من الصعوبة والتعقيد.

سبب الدراسة:

يكمن اختيار الرواية للدراسـة في كونها تبحث في مسـاءلة سـياسـات الهوية والمهيمنات المجتمعية والمسـكوت عنه وسـؤال الجندر، وغيرها من الموضـوعات. فانمازت الرواية بواقعيتها السردية، ورصدها الحثيث بالسؤال عن الهوية المستلبة للفرد داخل المجتمعات الكبرى. وستسعى الدراسة للبحث عن انساق الهوية في الرواية والكشف عنها عبر عدة محاور.

وقسـم البحث على مقدمة ومبحثين: المبحث الاول مقسـما على عدة مطالب: مفهوم الهوية، ومفهوم الهوية السردية، الهوية وسؤال النسق بين الانتماء والاغتراب الثقافي في الرواية، والهوية الملتبسـة. اما المبحث الثاني فقد اشـتمل على عدة مطالب هي: الهوية وسـؤال الجندر، نسق الجسد المقموع في الرواية، والاحتراب المجتمعي والمسكوت عنه في الرواية.

المبحث الاول

مفهوم الهوية

إنَّ الهوية مفردة يرادُ بها الكيان والوجود الذي يحقق للفرد استقلاله في هذا الكون، بوصفه انسانًا معترف به اجتماعيًا في داخل منظومة ايديولوجية كبرى، ولا سيما أنّها تعد الصورة الفكرية التي تتمثل داخل العقل المجتمعي وتمثلاته الثقافية. ويعد مفهوم الهوية مفهوما إشكالياً، متداخل الأبعاد نظرًا لصلتها بعدة علوم، فهي وإن صنفت ظاهرة ثقافية أو انثربولوجية أو عينة نفسية فهي في اصلها مسألة فلسفية لا مشاحة فيها كما يرى فتحي المسكيني(المسكيني،٢٠٠١، ٦). وهي الركيزة الأساسية في إثبات الانتماء، إذ يتفاعل مع رموز أخرى كالدين، واللغة، والتراث، لذا فان تحديد مفهوم الهوية يصعب ويختلف من اتجاه لآخر وقد تعددت بذلك تعريفاتها بحسب العلوم ومشتغليها، ولا سيما إذا اعترفنا أنَّ الهوية لا تعد منجزًا مكتملًا، فهي في حالة من التطور والتغيير لاسيما عن طريق التفاعل مع الآخر، فهي "ليست معطى جاهزًا ونهائيًا وإنما هي عمل يجب اكماله دائما" (ادونيس،٢٠٠٢، ٨). ويعرفها حليم بركات بأنَّها: "وعي بالذات والمصير التاريخي الواحد من موقع الحيز المادي والروحي الذي نشغله في البنية الاجتماعية، بفعل السمات والمصالح المشتركة التي تحدد توجهات الناس وأهدافهم لأنفسهم ولغيرهم"(بركات،٢٠٠٠، ٦٢). أما الهوية في الدراسات الثقافية فإنّها تفهم "على أنَّها أدائية–خطابية، بمعنى أنّ الهوية من الأفضل أن توصف كممارسة خطابية تحدث وتنتج ما تسميه من خلال اقتباس وتكرار معايير واصطلاحات معينة. ومفهوم الهوية يستخدم بالأحرى لربط الداخل الوجداني للأشخاص بالخارج الخطابي. بمعنى أن الهوية تمثل عمليات من خلالها انشاء مواقع للذات بشكل خطابي، لتصبح هذه المواقع مسلمًا بها"(باركر، ٢٠١٨، ٣٨٢). ومما يلقانا بهذا الصدد تعريف الجابري للهوية بأنها (وجود وماهية) وهي بذلك ليست وجودًا جامدًا، وماهيتها معطى نهائي وهي ليست ثابتة جاهزة بل هي تتشكل وتتصير(الجابري،٢٠١٢، ١٠). ويركز الجابري على الهوية الثقافية التي يعدها حجر الزاوية في تكوين الأمم لأنها، نتيجة تراكم تاريخي طويل، فلا يمكن أن تتكون بقرار تتخذه الجماعة التي ينتمي اليها حتى لو توفرت الارادة السياسية (الجابري،٢٠١٢، ١١). وهي عنده ثلاث مستويات: هوية على مستوى الفرد، وهوية على مستوى الجماعة، وهوية على المستوى الوطني (الجابري، ٢٠١٢، ٢٩٨) .

الهوية السردية

يتفاوت تعريف الهوية بشكل موقفي تابع لاعتقاد الانسان بأنه عضو في جماعه أو يعتبر نفسه كشخص فريد، وهو في كلا الحالتين يُعدُّ مفهوماً للذات، ففي الحالة الأولى يشير الى الهوية الاجتماعية، وفي الحالة الثانية يشـير الى الهوية الشـخصـية، وهذه الذات تكون منغرسـة داخل الذوات التي نعي جزءا ضئيلاً منها والغالب مخفي غير واضح لكنه يعمل بقوة وهو ما يعبر عنه ثقافيا بالمهيمنات الثقافية.

إن توظيف الهوية في الرواية العربية لم يكن موضـوعًا حادثًا في الروايات العربية، وإنما جاء نتيجة رؤية الكاتب العربي للمخاطر التي تحيط بالهوية بشـتى انواعها: الهوية الوطنية، والدينية، والمذهبية، والاجتماعية، وحتى الهوية الشخصية. التي دفعت بها تقلبات المنطقة العربية والانفتاح العولمي في خضـم كل هذه الظروف والتزاحم الهوياتي، مما دعا المثقف العربي الى العناية بهذه القضـية، التي تحاكي هموم الانسـان ومحنته المعاصـرة بالعناية بمفهوم الهوية، عن طريق رؤية سـردية وعالم افتراضـي تنهل مادتها من معاناة الناس وتقوم بتصـويرها. وقد احتلت الهوية السردية موضوعا مهما في السرد، وتعددت بذلك مفاهيم الهوية السردية وتعمقت تصوراتها عند النقاد، كونها تتقاطع مع عدة مجالات، وأبرز من وقف عند مفهوم الهوية السـردية وتجلياتها المفكر الفرنسي بول ريكو، الذي حاول ايجاد مفهوم للهوية السردية فقد عرفها بقوله: "الهوية التي تنجم عن دور السـرد في تحقيق الهوية الشـخصـية للفرد، والتي تتمظهر في حبكة الرواية وفي احداثها المتتالية، إذ إنَّ هذا السرد يقوم بتصوير مدقق لدور الشخصية (الذات) أي أنَّه لا تتعرف على هوية الشخص إلا من خلال عامل السرد ووظيفته، وأضف الى أن هذه الشخصية لا تعرف ذاتها مباشـرة بل بطريقة مضـمرة ينجم عن انعطاف العلامات الثقافية بجميع انواعها والتي تسـتند بدورها الى وسائط رمزية، وكما يعمد هذا السرد الى تأويل الذات، وفتح المجال للقارئ بأن يتعمق في فهم الشـخصـيات السـردية الخيالية وتأويل هويتها السـردية واثباتها في النصـوص"(ريكو، ١٩٩٩، ٢٦٤).

ويرى نادر كاظم بأن الهوية سـردية "لأن السـرد يجمع عناصـر الهوية المتنافرة والمتباينة في وحدة منسجمة وذات حبكة مترابطة ايضا"(كاظم، ٢٠١٦، ١٣١) وسرد الهويات الذي يقصد به هنا ليس قصـا محايدا وبريئا للوقائع والشخصيات، مما يعني أنَّ سرد الهويات ليس بعيدًا عن الصـراع، ذلك أنَّ سـيادة أية هوية سـردية أو حبكة ثقافية لا يتم الا على حسـاب انحسـار هوية سردية وحبكة اخرى.(كاظم، ٢٠١٦، ١٣٢)

والهوية السـردية لا تركز على بنية الشـخصـية الروائية فقط بل كل البنى المشـكلة للسـرد حتى يتم فعل الامتزاج التفاعلي للوظيفة السـردية المشـكلة له، وعن ذلك يقول عبد الله ابراهيم:

"تعير السـرود الذاتية اهتماما كبيرًا للزمن فهو اطار خارجي ناظم للأحداث بفضـل الدور الذي تؤديه الحبكة في تنسيق مكونات السرد جميعها، والتي يفضـي الى الافصـاح عن الأمكنة بمزيج من الرغبة والحنين اليها، ومنه يفصح عن الصورة القلقة للهوية السردية عن ماضيها في الزمان المكان، ولكن مع ذلك لا تصـل الى تحقيق المبتغى النهائي كونها في إنجاز متواصـل لذاتها" (ابراهيم، ٢٠١١، ٤٥) .

وتتفاعل الهوية السـردية في الرواية داخل أنسـاق ثقافية متنوعة، وتظهر على مسـتوى الشخصيات، واللغة، والانتماء الديني، والسياسي، وغيرها من المرجعيات الاساسية داخل النص الروائي من أجل تحديد كيفية عملها داخل السرد المتخيل .

الهوية وسؤال النسق بين الانتماء والاغتراب الثقافي في الرواية

يعدُّ السرد الروائي سردًا ثقافيًا، يحمل دلالات وتنوعات ثرية على مستوى الموضـوعات والشكل الفني، وقد أدت عالمية الرواية الى تتبع تحولاته واختراق مختلف أنساق المعرفة وأشكالها، ونتج عن ذلك زحف الأنساق الثقافية على مختلف مجالات البحث فيه، وقد سمحت بذلك الشروط الثقافية والنفسـية والتاريخية، التي تم فيها انتقال النسـق الثقافي بأشـكاله الى المجال الروائي الأدبي. ويعمل هذا النمط اليوم داخل الثقافة العربية على خلق صـراع وأزمات وطرح نتائج وتغيرات والى إعادة سؤال النسق حول طبيعة الثقافة المستقبِلة للرواية العربية، متجليًا الى جانب جمالياته وأطره الفكرية المؤسسة له داخل محيطه الثقافي.

وفي الدراسات الثقافية والنقدية التي تعنى بدراسة النص السردي وتشكلاته، والبحث عن أنسـاقه الثقافية وما تحويه من مضـمرات، وانطلاقا من هذه التحولات، مثلت رواية(خبز على طاولة الخال ميلاد) للكاتب الليبي محمد النعاس مرجعية معرفية تطرقت الى موضـوعات مجتمعية، وأزمات هوياتية، يعيشـها بطل الرواية (ميلاد) في مجتمعه العربي المغلق. إذ يرصـد النص الروائي موضـوعًا مهمًا لحالة مجتمعية في فترة زمنية معينة، ويقوم على التجربة الذاتية الواعية، وما تعانيه من أزمات فرضـتها طبيعة المجتمع عليه، فالكاتب محمد النعاس يروي القلق الوجودي لبطل الرواية وأزمته الشخصية، ويكشف اسراراً مجتمعية وتحولات تاريخية مهمة وشؤون حياة متحكمة في الخفاء، كما يكشف عن صراع وجودي بين الذات وسلطة المجتمع الذي يعيش فيه بطل الرواية، ومدى تحكمها به وسيطرتها .

ويتجلى البعد الهوياتي في رواية محمد النعاس بعدة اشـكال، ولعل أول علاماته هو الاغتراب الذاتي الذي يعانيه البطل ويعايشه في مجتمع قريته المغلق ذي المفاهيم المتوارثة. ويعد الاغتراب تعبيرًا عن مشاعر ذاتية فهو ظاهرة نفسية، اجتماعية، يعيش فيها الانسان أزمة انتمائه الى العالم المحيط به، ويشـير الاغتراب "الى الحالات التي تتعرض فيها وحدة الشـخصـية

للانشـطار أو للضـعف والانهيار بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية" (وطف، ١٩٩٨، ٣٤٧). وهذا الأمر بدوره يجعل الشـــخص يعيش حالـة من اللانتماء، فيجعل الذات غريبـة عن ذاتها ومحيطها، والاستلاب الذي يسلب بقوة هويتها ويجردها من حقها في ممارسة حياتها. يشهد بطل الرواية صـراعًا متازمًا بين ذاته ومجتمعه، وأولى هذه الصـراعات تتمثل بشـخصـية البطل (ميلاد) الهزيلة جسـديًا وفكريًا، تبدأ الرواية بمقولة (عيلة وخالها ميلاد) وهي ترمز في المجتمع الليبي الى الرجل الذي في بيته نســـاء كثيرات ســـيئات ولا قدرة له على الســـيطرة عليهن. ليتبين من ذلك شـخصـية لرجل يعاني من هشـاشـة نفسـية وضـغط نفسـي تجعله تابعاً لكل من حوله، ويحاول أن يفعل التوقعات الاجتماعية المطلوبة منه والتي كان لها تأثيرها السيئ في تدمير حياته وانسانيته، فقد عانى ميلاد منذ طفولته قسـاوة العالم من حوله، ابتداءً من قسـوة والده الذي أراد منه أن يكون ولدا ورجلا قويًا، فأبوه يمثل قمع المجتمع الأبوي. ثم قسـاوة مرحلة العسكرية متجسدة بشـخصـية "المادونا" القاسية التي تمثل القمع السياسـي، وكذلك اصـحابه واقرباؤه الذين يسـخرون من ضـعفه ويحاولون تعليمه الشـدة متمثلة بشـخصـية (العبســي) والتي تعبر عن عقلية القبيلة. ويظهر هذا الاغتراب في حديث بطل الرواية لنفســه امام مرآته، يقول: "قلت لنفســي في المرآة، ابحث عن إجابة في الوجه العبوس أمامي. تنهدت، هل يمكن أن استعيد رجوليتي؟ وكيف سأتمكن من ذلك؟ ثمة خياران لا ثالث لهما، إما ان اسـتعيد رجوليتي، أو أن أنهي حياتي. أما الاسـتمرار في العبث ومقاومة الحياة والمجتمع الذي من حولي، فلا فائدة ولا طائل من ورائه، حدثتني نفســـي أنني لم اتلق يوما تدريبا عمليا في أن اكون رجلاً. كل ما تلقيته هو كلمات من أبي، ومحاولة لحشري في العســكرية. كان للعســكرية تأثير ســلبي على طريقة تفكيري، إذ أنَّ معيارها للرجولة كان مغايرا لمعيار المجتمع"(النعاس، ٢٠٢٢، ٢٢). يظهر في هذا النص الاغتراب الذاتي الذي يحول الانا الى الآخر اللامســمى الذي يعيش خارجا ويشــعر بعدم الانتماء والذي يعود الى اســباب منها حسـاسـية الذات، ومشـكلاتها الاجتماعية، والقبلية، وقمع الحرية، وشـعور الانفصـال الذي يعاني منه بطل الرواية، فأصـبح منفصـلا عن المجتمع الذي يعيش في إطاره والذي جعله يعيش عاجزًا عن معرفة ذاته ووجوده.

إن جميع الاشـخاص الذين مرو بحياة بطل الرواية أرادوا فرض الصـورة النمطية للرجل على شـخصـية ميلاد، دون أدنى رحمة أو محاولة منهم لتفهم ما يشـعر به أو حتى تقبله وهذا ما يظهر الاغتراب الهوياتي أو الذاتي الذي يعانيه البطل فيجد نفســه غريبا عنهم حتى زوجته التي اختارها نجدها خيبت آماله باسـتغلالها له وعمقت من شـعوره بالاغتراب. ويفسـر محاولته الدائمة للهرب نحو هوايته(الخبز)، يقول: " لقد تربيت في بيئة لا تحلم، ولا تشـــجع على الحلم، ربما الهدف الوحيد الذي اردت تحقيقه هو أن اخبز اكبر قدر من اشـــكال الخبز" (النعاس،٢٠٢٢،

١٦٧). وليست صدفة أن يختار الراوي لبطله مهنة الخباز، إذ كانت صناعة أنواع الخبز حاضرة بكل أشكالها وأنواعها في الرواية بتفاصيلها الدقيقة، لترمز إلى كل تلك العوامل الثقافية المهيمنة وكيف تشكل الفرد العربي في مجتمعاتنا كيف تشاء هي لا كيف يشاء هو، فلا نجد لدى شخصية ميلاد أي قدرة على الاختيار، إذ نجده وقد اختار له أبوه أن يمضي إلى الجيش ليصبح رجلاً قويا، ومهنة الخبازة هي من اختارته بحكم الوراثة، بل حتى البنت التي أحبها لعبت التوقعات الاجتماعية منه دورها في اختياره لها، ولهذا نجده يقول: "الجهنمية كامرأة نسيت تمشيط شعرها الطويل لسنوات، شجرة رمان تكاد تموت، ذكرتني بشجرة التفاح المهملة في مزرعة عمي، وذلك اليوم الذي حكمت علي زينب فيه بالزواج منها دون أن تدري هي ولا أنا"(النعاس،٢٠٢٢، ٣١٦).

يغرق السرد المشكل لعوالم هذه الشخصية الى أزمة مريرة تحيل الى انكسار الذات وفقدانها لكينونتها من قيم ومبادئ انسانية، مما يوقع البطل في عوالم مهيمنة يوغل في ابعادها، فيجد نفسه واقعا في شخصية تابعة لا منتمية غير واضحة المعالم أو الحدود، تسيره أفكار المجتمع وفرضياته وتوقعاته، وفق قانون التحول الذي يخضع له البطل ضمن سياقات نفسية ومجتمعية وثقافية معقدة .

وتحمل الروايا عمقاً سرديًا يضيء الأنساق المجتمعية التي يعيشها ميلاد فالخوف، والظلم، والعنف، والسجن، والتعذيب في المعسكر، وانعدام العدالة، كلها ثيمات تخلق الانسان الخاضع والمنقاد لسلطة المجتمع، كما تخلق الطاغية والتسلط، وهذه الثيمات نجدها في شخصية ميلاد المهزومة، التي تتحول الى شخصية إجرامية بالفعل الذي ارتكبه بحق زوجته، فهي تراجيديا حقيقية حاول من خلالها الكاتب فتح الأبواب المغلقة كاشفة عن عتمة الوجه الآخر للمجتمع وتشخيص الأصوات المقموعة والهامشية.

الهوية الملتبسة:

تعني الهوية الملتبسة عدم قدرة الفرد العثور على نفسه وإيجاد هويته بشكل واضح لخضوعه لارتهانات ثقافية يصعب التكهن بها، فهو يعاني مصيرًا مجهولًا وغامضًا بسبب صعوبة الاندماج في محيطه العام، كأن يكون وطنه الاصلي أو تتنازعه انتماءات ومهيمنات عده لا يفصح عن أيٍّ الانتماءات هي الأكثر حضورًا في تحديد تلك الهوية وتحقيق وجوده (ابراهيم،١٢٦،٢٠١١)

ويشكل تنازع الهوية بعدًا محوريًا في نسيج السرد الروائي المعاصر فقد اصبح حاضراً في الوجود الانساني وينماز بكونه حاضرًا مبعثرًا ملتبسًا ومشحونًا بالتناقضات والمفارقات. فالهوية الملتبسة تكون حين تنازع الشخصية الروائية عدة انتماءات تفرض حضورها عليها،

فتعجز عن البت في ولائها لاحد هذه الانتماءات، لكون تلك الولاءات تدخل في صـــميم تكوين الشـــخصـــية الايديولوجي والمعرفي والثقافي والبيئي (الجبوري، ٢٠٢١، ٢٧٧). ومثال ذلك شخصية بطل الرواية (ميلاد) وأزمته مع الهوية، هذه الازمة التي تظهر في تطلعه لإيجاد هويته في ثقافة أخرى أو شـــخصـــيه تختلف عنه، ومن ذلك علاقته بابن عمه(العبســـي) الذي يمثل شـخصـية انتهازية ويحمل صـورة الرجولة التي يتطلَّع اليها ميلاد، بالرغم من ملاحظاته الكثيرة عليه ولكنه يتمنى أن يكون مثله، إذ يقول: "العبســـي كان ذكيا. تمنيت دوما أن اكون مثله. كان يعرف كيف يتلاعب بالنظام، وكيف يتحصل على حاجته التي يبتغيها"(النعاس،٢٠٢٢، ١٢). إذ نلحظ أن ميلاد اسير للسلطة والجرأة التي يراها في ابن عمه، ويبين مدى الجزع والتيه الذي يعانيه بسـبب انعدام الرؤيا واضـطراب الهوية التي تمثلت في ضـوء العنف وسـحق الذات، ونجد هذه الأمنية تفصح عن عمق مأساة شخصية ميلاد و فقده لانتماءه.

وتظهر الهوية الملتبســة في علاقته مع ابيه المبنية على الســلطة والهيمنة الذكورية، في حين تحاول ذات البطل التي حاربت هذه السـلطة، تجد نفسـها كلما زادت هروبا كان ذلك بمثابة قرب صـوبها، ويظل صـوته يتردد في نفسـه: "عند اسـتيقاظي تكرر صـوت ابي في عقلي: ولد غبي" (النعاس،٢٠٢٢، ٢١). ومعاناته الدائمة كي يكون مثل ما يريد والده "لا أريد أن أنهك كاهلك بعدد المرات التي بكيت فيها فقط لأنني لم اســتطع أن اكون رجلا حقيقيا كما ارادني أبي" (النعاس،٢٠٢٢، ٣٧). هذا الشـرخ الروحي والتنافر بين الأب والابن شـكل خلخلة والتباس لهوية البطل ميلاد، الأب الذي لم يهتم به وطالما عنفه وعاقبه، وحتى عندما يحاول أن يحنو عليه يرجع الى شخصيته الرجولية التي طالما حاول ميلاد الوصول لها، وهذا ما شكل عبئا كبيرا عليه "اجمل ما في الامر هو قول والدي: يوما ما ستكون أنت من يصـنع الخبز. أحس أبي بالحميمية في الموقف، فأراد أن يطيرها، التفت الى الكوشـــة وصـــرخ في وجهي: ألم تنته بعد من التنظيف ايها الطفل الاحمق؟ هيا الى عملك"(النعاس،٢٠٢٢، ١٠). وتتضـح هذه الهوية المأزومة بصـورة واضـــحة في موضـــع اخر، يقول: "رغم تعلمي على يد انثى... ورغم علاقتي بها، كنت اســعى بتشـــجيع من ابي الى البحث عن هوية مخالفة، هوية تركتني حائرا من جدوى صـــناعة حلوى الشـعر، ورفضـي في كثير من الاحيان صـناعتها لاخواتي، او حتى الاقتراب منهن. هذه الهوية التي ازدادت تشـكلا في بئر حسـين، حيث صـار وجود ابي في افكاري وحركاتي ملحاً اكثر من ذي قبل...اجري من اخواتي الى العبسـي نحاول لعب الكرة في الشـارع... يوجهني العبسـي نحو تلك الهوية الناقصة"(النعاس،٢٠٢٢، ٢٢٩).

ومن التناقض الخفي في شخصية ميلاد ما يظهر في علاقته بزوجته بكشفه الحوار الذي دار بينه وبين صـاحب البيت الذي استضـافه: "لماذا تزوجت زينب؟ تبدو لي رجلاً متحررًا، تبدو

كشـــاب ترعرع على تقاليد المجتمع وراها مندفعة نحو التحرر" (النعاس،٢٠٢٢، ١٨٧)، مما يدل على اشكالية الهوية التي يعاني منها ميلاد وسيطرة السلطة الفحولية على اللاوعي، مهما حاول الاختباء أو الهرب من هذه السلطة، ويدل على ذلك تعنيفه وضربه لزوجته دون وعي منه بالرغم من حبه وتعلقه بها إلا أنَّ أزمة الهوية المتنازعة في داخله، تفصـــح عن عمق الاســـتلاب الواقع تحت ســـــلطة الترهيب والعنف التي تقوم بتجريده لا راديا من الهويات الأخرى في حال عدم خضـوعه لنسـقها الخاص، فأصـبح أمام ممارسـة العنف أو الخضـوع التام وتموقع الذات داخل كينونتها.

المبحث الثاني

الهوية وسؤال الجندر:

إنَّ مفهوم الجندر يعدُّ مفهومًا حديثًا نسـبيًا، وهو أحد المصـطلحات الأكثر تعقيدًا ونجده يبرز في الدراسات الأدبية المعاصرة ولاسيما الدراسات النسوية، فهو موضع خلاف وعدم استقرار أكثر من كونه موضـــع اتفاق؛ إذ أخذ هذا المصـــطلح يحل محل مصـــطلح(الجنس) في إطار مناقشـــات التمييز والاختلافات بين الرجال والنســـاء في الســـلوك، والدور، والمكانة، الراجعة الى عوامل واعتبارات اجتماعية وثقافية (الخليل،٢٠١٦، ١٦٩). ويعني المصطلح: "دراسة المتغيرات حول مكانة كل من المرأة والرجل في المجتمع بغض النظر حول الفروقات البيولوجية بينهما وفقًا لدراســة الادوار التي يقومان بهما" (العمر،٢٠١٥، ٩) فهو "يتيح لنا فرصـــة التمييز بين الفروق البيولوجيـة والثقافيـة بين الـذكور والانـاث، ومن ثم يجنبنـا اتخـاذ أي موقف يقوم على الحتميـة الســوســيولوجية"(الخليل،٢٠١٦، ١٦٩). ويرى بعض الدارســين أنّ الجندر "هوية مكتســبة يتم تعلمها وتتغير مع مرور الوقت وتختلف على نطاق واسع داخل وعبر ثقافات"(العتيبي، ٢٠٢٠، ١٥). وهو في حالة متغيرة من الاسـتعمال تنتج ظلال معنى جديد بالحديث عن أدوار الجنوسـة وتتعلق بالفجوة بين الجنسين وعن سؤال النسق المتحيز جنوسيًا لأحد الجنسين .

وفي رواية (خبز على طاولة الخال ميلاد) يلفت الكاتب النظر الى هذه القضية من زاوية طرح جريئة في الرواية العربية ولا ســـيما من جانب الرجل، إذ تبحث هذه رواية في مســـاءلة سـياسـات الهوية ولا سـيما فيما يتعلق بأزمة إنجازية الجندر. ويتناول الكاتب في الرواية نسـقية العنف الجندري لكنه ليس العنف الموجه للمرأة فقط، وإنَّما سلط الضوء على قضية جندرية حددت اشـتراطات الرجولة وعكسـها (الميوعة) أو اللارجل، هذه الفئة المهمشـة (فئة الجندر) التي تعاني بصمت ينظر إليها المجتمع نظرة دونية وتم رفضـها، وهذا الأمر يطالعنا في عنوان الرواية، الذي يوحي لأول وهلة أن أحداثها تتحدث عن رجل منهزم أمام معايير الرجولة في نســـقية الثقافة المجتمعية الأبوية بوصـــفه رجلا (المخنث) يواجه عنف المجتمع وتطلعاته، وتظهر ملامح هذه

الشخصية في تصرفاته وملابسه الملونة، وجسده الهزيل وصبغ إصبعه الصغير بالحناء كما تفعل البنات، وفي علاقته بأخواته وتعاطفه معهن ومشاركتهن اللعب وصنع الحلوى لهن، وعنايته بأدق تفاصـــيل المرأة: مزاجها اعمالها اليومية، ما تحب أو تكره من أعمال البيت. حيث يمثل ميلاد شـــخصـــية معقدة ومنســـحقة وغير واعية بما تريد ســـوى أنها تريد أن تفعل ما تحب غير مبالية بهيمنة العنف الجندري، إذ يعزو ميوله الجندرية بكونه تربى في عائلة من النســـاء وهو الولد الوحيد والمنتظر ونمت جذوة ميوله من المعيشـــة بينهن، يقول : "ســـألت الله ما الذي فعلته حتى تعاملني الحياة بهذه الطريقة. ألأنني كنت ولدًا وحيدًا لأخوات أربع، ولأني تعلمت ضـــفر شـــعر أخواتي وأنا في العاشرة، وصناعة الحلوى النسائية في الثانية عشرة، ولأني صنعت الخبز والكعك والحلويات والبريوش وتعلمت الطبخ منذ طفولتي؟ ربما لأنني رضـــيت أن أغســـل ملابس زوجتي وأرتبها وأكويها، وأنظف بيتها وأغســـل أوانيها؟ ربما لأنني تركت فراش الزوجية واللعب منذ أن يئســـنا من إنجاب الأطفال، متى كان ذلك؟ نعم، عيد ميلادي الأربعين، عيد الميلاد نفســـه الذي تحولت فيه تماما إلى ميلاد الذي يســـخر منه الحي كله، ويوما ما ســـتســـخر منه البلاد والكوكب أجمع" (النعاس،٢٠٢٢، ٨٢). وتعزو الدراســـات الجندرية هذه الظاهرة الى التنشـــئة الاجتماعية التي تعزز النمطية الســـائدة وتحديد الادوار التي يقوم بها كل من الرجل والمرأة. وتعد التنشـــئة الاجتماعية مظهرا من مظاهر التفاعل الاجتماعي تقوم الأســـرة والمدرســـة بترتيب المواقف التفاعلية، حيث ينتقل الانسان خلال هذه العملية من الفردية الى الشخصية الاجتماعية التي تؤثر في سلوكيات الآخرين، وتظهر أزمة التنشئة هذه لدى بطل الرواية(ميلاد) في العنف الذي واجهه في الادرة وخارجها، فمنذ طفولته عانى من قســـوة ابيه الذي كان: "ينزع الحزام عن ســـرواله ويجلدني حيث ما اســـتطاع، ســـأصـــنع منك رجلا حتى لو كان ذلك آخر يوم في حياتي، تنزع الشـعر عن سـيقان اخواتك ايها المخنث" (النعاس،٢٠٢٢، ص٢٢٩_٢٣٠). ونصـائح والدته له عن كيفية التعامل مع زوجته واخواته "كانت تملك عقلية العجائز الزمنية القديمة التي تقول على المرأة تحمل كل شـــيء، وأنَّ عليها الاهتمام براحة زوجها...تقول لي إنَّني رجل، والرجل لا يجدر به أن يمسك سوى المسحاة أو الخباشة، الرجل يزرع ويحصد والمرأة تطبخ، الرجل يبني ويعمر والمرأة تنظف مـا بنـاه، هـذا هو الاتفـاق الضـــمني بين الجنســـين، واي خلـل يجـب اصلاحه"(النعاس،٢٠٢٢، ٣١).

وكذلك اصـرار والده على إرسـاله الى المعسـكر وما تعرض له من عنف جسـدي ولفظي هناك وصـراخ المادونا به: "ميلاد يا ضـعيف، إنهض...هل تريد أن أحملك؟ ...أمتأكد أنك رجل؟ ... –هيا يا غبي، عش يوما ديكًا ولا عشـــرة دجاجة، هيا تحرك" (النعاس،٢٠٢٢،٧٨). ونصـــائحه

الدائمة له بالابتعاد عن مجالســـة اخواته "يا ولد يا غبي، انت رجل، لا يجوز للرجل أن يجالس النساء، إنها كالملح والخميرة، الم تفهم"(النعاس،٢٠٢٢، ٣٥).

ومن ذلك ايضا مظاهر معاناته النفسية من شكل جسده الهزيل واستهزاء اصدقائه به، كل هذا جعله يلقي باللوم على كل من حوله ممن ساهموا حسب ما يعتقد بتكوين شخصيته هذه، يقول: "في بعض الاحيان كنت ألقي باللوم على اخواتي، وطريقتهن في التعامل معي، على تعليمهن اياي طريقة صنع حلوى الشعر..والإمعان في تمييعي... كنت اوجه اصابع الاتهام الى الجميع: المادونا وتعامله الوحشـــي معي وارغامه اياي على أن اكون رجلا، وأن كلف الامر حياتي، عمي وعدم اهتمامه بي بعد وفاة أبي، وتركه اياي اتربى بين خمس نســـاء... اتهمت الجميع إلا نفســـي" (النعاس،٢٠٢٢، ص٢٠٠_٢٠١). وأخيرًا زوجته التي اختارها وكان ينتظر منها التعاطف والحنان لكنها صدمته بالخيانة والتنكيل "وعندما وجدتني كما انا، ساكنًا، قالت إنني لست رجلاً وإنني حرمتها نعمة الأطفال"(النعاس،٢٠٢٢، ٣١).

هذه القسوة والعنف والتشبع بأفكار القرية الضيقة جعلت الشاب ميلاد مضطرباً لا يعي ذاته، ولا يســـتطيع أن يقرر هويته الجندرية، مما جعله يلقي باللوم على كل من حوله. وهذا بالنتيجة مما جعل نسق الهيمنة الاجتماعية يتجلى في وضوح، عندما نجده يخضع لمصيره كرجل ولتأثير من حوله عليه ويرتكب الخيانة، وجريمة القتل بحق زوجته التي خانته ليصـــل الى دور الرجولة الذي أُريد له أن يتقمصه .

نسق الجسد المقموع في الرواية

إنَّ حضــور الجســد في الرواية يعد من الموضــوعات التي لا تقل اهمية عن ســواه من الموضــوعات الفكرية والوجودية، فهو ليس مجرد علامة رمزية او وجود مادي، إنما هو جزء هام من كينونة الانســان الذي يشــكل؛ موضــوعا ثقافيا، وفكريا، واجتماعيا مهمًا في النتاجات الفنية والأدبية، فمن خلاله يمكن معرفة الهوية الشــخصــية للإنســان، كما أنه يمنح الوجود الإنســاني حضوره المادي، وهويته حتى يصبح الوجود الإنساني وجودًا جسديًا. فإن كل ما يعرض له الجسد خلال ســنوات حياته يمثل أحداثًا أثرت في تكوينه وتقويمه، وتعرّض الجســد الى القمع في حياته واضــحًا على جسده والصورة التي يظهر بها، إذ إنّ هناك ما يهزم الجسد وهناك ما يقمعه، وفي كلتا الحالتين يتعرض الجسد الى صور لا يحسد عليها.

ويقمع الجســد اجتماعيا في كثير من الحالات والأوضــاع والســلطات "التي تجبر وترغم ذلك الجسد على المثول لما يراد منه ووفق المصلحة المحددة... فهناك حالات عدة تعرض على أســاســـها الجســـد للقمع والانهزام، من خلال ما مورس عليه من قبل الفرد ذاته أو أســـرته، أو

المجتمع بأعرافه وتقاليده وقوانينه من سلطات هزمت واجبرت ذلك الجسد على المثول لما تريده، ووفق ما تجده ملائما لها" (محمد، ٢٠١٥، ٢٠٩).

ويأخذ الجسد بعدًا مهمًا في رواية (خبز على طاولة الخال ميلاد) إذ نجد البطل مسكوناً بفكرة الجسد المثالي أثناء مراحل تنشئته، ويظهر هذا بشكل واضح في حديث بطل الرواية(ميلاد): " كنت أخجل من جسدي وأنا وحيد اغتسل في الحمام، فما بالك بتعريته أمام ابن عمي ورفيقه والفتاة" (النعاس،٢٠٢٢، ١٣٣). يمثل الجسد قيداً مهماً في أزمة الهوية التي يعاني منها (ميلاد)، وذلك مقابل الجسد(الرجولي) المثالي الذي يمتلك الحصانة المجتمعية وتجعله لا يقبل المساءلة أو النقد له، ويكشف النص عن الكوامن المضمرة للثقافة النسقية التي تقف خلف الحزن الذي يعاني منه بطل الرواية بسبب ضعف جسده، الذي أصبح صدى لهمومه ومعاناته النفسية والوجدانية، التي تنم عن قلق وحزن ولعل ذلك يعود للظروف الاجتماعية والثقافية التي كان لها دور في تكوين هذا الاثر النفسي، إذ تصنع هذه المعاناة عملية تطابق بين هوية ميلاد والجمهور لذا نجد هيمنة الفاعلية النسقية في الرفض لهذه الهوية الجسدية.

كما كان هذا الجسد سببًا في وقوعه بالكثير من المعاناة مع رفاقه، وكان سببًا في نعته بالكثير من الأوصاف والتندر عليه "أدبني المادونا مرات عديدة، وصرت معروفا بميلاد عجينة، صرت غريم المادونا الطبيعي، رأيت فيه صورة الرجل الوحشي القاسي، ورأى فيّ النقيض... كان المادونا يتندر بي عندما يخطئ احدهم هدفه: هل خالطت السي ميلاد مؤخرا؟، لم اصب هدفي قط"(النعاس،٢٠٢٢، ص٧٥_٧٦). فقد كان جسده الهزيل والضعيف سبب فشله في التدريبات العسكرية القاسية، مما كان يثير غضب القائد المسؤول عنه(المادونا) ويزيد من معاناته، وتعرضه للإنهاك مما أدخله في دوامة من القمع والانهزام ودفع به الى استخدام سلطته على جسده ومحاولته الانتحار اكثر من مرة، الذي شكل وسيلته للخلاص من الواقع الذي يغتال احلامه، وكان اخر محاولاته للانتحار بسبب تعنيف زوجته له وشعوره الدائم بالنقص تجاهها .

ومن الأمور التي يستخدمها الانسان لتزيين جلده على اعتباره جزءًا من هويته الجسدية، هو محاولة اكسابه لونا معينا ونضارة، باستخدام الأصباغ أو الدهون للتعبير عن نفسه، على اعتبار أن جماله يعد لغة بحد ذاتها يمكن أن تسر الانسان وتصبح من مكونات الانسان وتضيف له رونقا (محمد،٢٠١٥، ١٠٨). ويظهر هذا الامر في صبغ بطل الرواية(ميلاد) لأصبع يده بالحناء الذي اصبح عادة عنده " تحسست جلدي ودورت اصبعي الابهام والسبابة حول الكم، نزعت الشاش عن إصبعي الخنصر بعد يومين من صبغه" (النعاس،٢٠٢٢، ٩). فقد كان هذا الفعل يعطيه شعورًا بالسعادة ويده المخضبة بالحناء تشكل جزءًا من هويته الجسدية، التي طالما عانى منها وواجه الانتقادات من ابيه ورفاقه بسبب هذا الامر "يحرّكني تعليقٌ لأبي عن اصبعي

المخضّب..وشده اذني"(النعاس،٢٠٢٢، ٢٢٩) . فهذا العنف الجسدي الموجه من قبل الآخرين لشخصية ميلاد ومن قبل نفسه، تظهر المعاناة والظلم والاقصاء الممارس بحقه، وهذه المعاناة ليست نتيجة حدث طارئ إنَّما هي نسق ملازم ومنغرس فيه، فالجسد يظهر رواسب المجتمع الذي تجسّد في الجسد بحوادثه وأزماته وتطوراته، ولا يظهر الجسد إلا انعكاسا لما مر به خلال حياته، وبذلك يخرج الجسد على أنَّه ذلك الكيان الذي ليس له سلطة الدفاع حتى عن نفسه تجاه سلطات الفرد ذاته، وسلطات المجتمع بأشكاله، ويبقى ذلك الكيان الصامت الذي ينتظر الاهتمام به بشكل يعوض كل معاناته في القمع والهزيمة.(محمد،٢٠١٥، ٢١٥) الذي مارسته الثقافة المؤسساتية.

الاحتراب المجتمعي والمسكوت عنه في الرواية

وظّف السرد الروائي موضوع الاعراف والتقاليد المجتمعية وتناولوها بكثير من التحليل والتشخيص، وصنع الفضاءات المتخيلة، التي تكوّن وتصنع الجسر الرابط بين عالم الواقع وعالم المتخيل، ومن خلال ذلك تصاعدت أهمية الهوية في العصر الحديث بسبب زيادة التجزئة التي أصابت البناء الاجتماعي وسياقاته الثقافية، والاجتماعية، والدينية، والسياسية، لذا "ما برح سؤال الهوية الفردية والجمعية على سواء يزداد الحاحًا وبروزًا خلال العقد الاخير نتيجة التحولات الاجتماعية والثقافية المقترنة بالعولمة، بدا أن تكاثر التيارات الثقافية العابرة للقوميات(للناس والسلع ووسائل الاعلام المعلومات) يعمل على خلخلة الهويات المستقرة الراسخة" (الغانمي، ٢٠١٠، ص٧٠٣_٧٠٤). لذا يتجلى موضوع السرد كهاجس يرتبط ارتباطا وثيقا بثيمة المكان أو هو الوجه الآخر له ليصبح تعبيرا عن حالة اجرائية لكي لا يسقط في وعي الواقع والولوج الى عالم المكبوت والمسكوت عنه.

ويسلط محمد النعاس في روايته الضوء على المسكوت عنه ويكشف الجوانب المظلمة بنقد المجتمع القروي وتعرية حقيقة الأنساق الفحولية، وكشف الحيل النسقية القابعة خلفها من الذين يمثلون ويتقلدون الشرف والتضحية. كتب محمد النعاس عن المجتمع الليبي المغلق وكشف العديد من الاختلالات والاختلافات المجتمعية فيه، ومن ذلك محاولة الروائي كسر التابوهات المحرمة واختراقها وتعرية المسكوت عنه بوساطة تمثيل سردي مركب ومتواتر لموضوع الاختلال والازدواج المجتمعي تارة، وموضوع الهوية المغلقة والمتوهمة تارة اخرى. حيث تناول موضوع التغاير المجتمعي بطريقة غير مباشرة لصورة المجتمع ما قبل الثورة الليبية وما بعدها، بصورة مغايرة عن هالة القداسة المحيطة بالثورة وبصورة القائد، وذلك يرجع بسبب إفرازات الواقع العربي المعاصر وأثرها في الرؤيا السردية، إذ صوّر الكاتب شكل المجمع الليبي وطريقة عيشهم الظاهرة من خلال سيرة (الكوشة) وأنواع الخبز الغربي الذي كان يصنع بها قبل الثورة، وتغير الذوق العام لدى الناس وتراجعه بعد الثورة، كما بين أثر قرارات القائد في مشاركة العمال لأصحاب المحلات

والورش الذي اثر على جودة العمل وبالتالي تأثيره على المجتمع الليبي بصورة عامة، ومن اشكال التغير الاجتماعي ما نجده في وصف(ميلاد) لشخصية المدام، يقول: "لم يهتم والدها بأن يعلمها القوانين...كان في زمن حالم ترتدي فيه بنات الطبقة الراقية التنانير القصيرة، لم يتابع البلاد وهي تتحول خلال خمسة وعشرين عاما الى أيام الأجداد الأولى" (النعاس،٢٠٢٢، ٣٠٥) .

كما يثور محمد النعاس على الأعراف والتقاليد المجتمعية داخل القرية، ويسلط الضوء على ازدواجية الشخصية والاختلال المفاهيم الدينية، والمجتمعية، والوظيفية، والتي تطالعنا على لسان بطل الرواية ميلاد، يقول: "كان عليّ ان استنتج القوانين التي اتفق مجتمعنا على وضعها، ومنها أن العفوية في الحديث عما يجول ببالك قد تشكل خطرًا عليك وعلى من حولك"(النعاس،٣٧،٢٠٢٢). وتظهر هذه بتصويره لجانب المجتمع المنحل اخلاقيا من السكر والبغاء والاستغلال والكسل، وهي الصورة النقيضة لما يدعوا اليه المجتمع المتعالي الذي يحاسب المرأة فيه على لبس البنطال وعدم الاحتشام وعلى خروجها للعمل ومخالطة الرجال. وتظهر هذه الازدواجية المجتمعية في تصوير الكاتب للمجتمع التونسي جار ليبيا، في الواقع وشريكها في السرد الراوئي، وذلك عند قضاء بطل الرواية ميلاد وزوجته شهر العسل في تونس وتمتعهما بأجواء الانفتاح والحرية هناك، إذ يظهر الكاتب توسعا في الحديث عن الاختلافات السلوكية والحرية ونمطية الصورة الجماعية عن كياني الرجل والمرأة وما يميز كلا الطرفين منهما في البلدين المتجاورين جغرافيًا والمتناقضين ثقافيًا. فقد جاءت الرواية لتعري حقيقة مسكوتا عنها في مجتمع محافظ، مجتمع تلزمه عقود كبيرة ليتصالح مع نفسه ومع اختلافاته .

كما يتبدى وجود نسق يختفي خلف المتن الروائي، يتمثل بالمعاناة والشعور بالدونية التي تعيشها المرأة في ظل هيمنة الآخر/الرجل، الذي يزداد كل حين فاصبح هذا الرجل يمارس كل أنواع العنف الجسدي والنفسي على المرأة بوصفه شكلاً من أشكال السيطرة الذكورية أو المركزية الفحولية التي سعى الفكر في تكريسها، فقد ظلت الأنثى وفق هذه الرؤية لعبة في يد الرجل يستخدمها كمتاع متى يشاء، وفق شروط المجتمع الذكوري. وقد تجسد ذلك في الرواية من خلال شخصية زينب الباحثة عن الحرية من سلطة المجتمع، ووجدت في شخصية ميلاد الضعيف وسيلة لحصولها على هذه الحرية وتحقيق أحلامها، لكنها بالنهاية تجد نفسها امرأة فاقدة لهويتها، منذ تحطم حلمها بالأمومة واعتناء زوجها بأمور البيت بدلا من الاعتناء بها وتحقيق احلامها، فأصبحت لا تعي ذاتها ولا تحقق أنوثتها، وكنتيجة حتمية لذلك نرى نهاية شخصية زينب بالموت. هذا القهر الاجتماعي يؤدي الى "ردود افعال قهرية ايضا ، ولا يستطيع المغلوب تابع ان يتخلص من اعباء التبعية"(العمر،٢٠١٥، ٦٩)

وساهمت المرأة ذاتها في ارساء هذه المركزية على الرغم من النظرة الدونية التي احاطها بها الرجل، حيث نجدها هي نفسها تتبنى هذه الفكرة التي ترى بأن النساء أدنى بالفطرة من الرجل، كما نجد ذلك في شخصية والدة ميلاد، " تقول لي إنّني رجل، والرجل لا يجدر به أن يمسك سوى المسحاة أو الخباشة، الرجل يزرع ويحصد والمرأة تطبخ، الرجل يبني ويعمر والمرأة تنظف ما بناه، هذا هو الاتفاق الضمني بين الجنسين، واي خلل يجب اصلاحه" (النعاس،٢٠٢٢، ٣١). ومن ذلك خوف زينب زوجة ميلاد من أن تعرف والدته بأنه يساعدها في أعمال البيت: "كانت تخاف الفضيحة. وأكثر ما خافته هو أن تعرف امي أنّني لم اكن مستلقيا على السرير طوال اليوم اشاهد التلفاز" (النعاس،٣٠،٢٠٢٢). وأمام هذا التجاوز نجد انفسنا أمام هويات ليست لها كينونة تحتمي بالتراث وتعيش بمخزونها الثقافي، ترافع من أجل هوية شكلية جاهزة وتصر على البقاء في الأسر باسم الحفاظ على الهوية .

ويتبدّى نسق الاحتراب الثقافي متناثراً على أجزاء مختلفة من الرواية، على شكل حِكَم، أو مقولات شعبية جاهزة تشابه الأمثال احيانًا تقوم على الحكي أو الوصف، أو بتشكيل الفضاء الروائي في بعض أجزاء الرواية؛(عيلة وخالها ميلاد، الفرس على راكبها، البنات زريعة ابليس، اضرب القطوسة تتربى العروسة، الراجل ما يعيبه شي) وغيرها من المقولات الشعبية الليبية التي نجدها في الرواية. ويظهر النسق الثقافي الشعبي موقف الكاتب من التقاليد البالية، فقد فضح بعض العيوب الاجتماعية، من خلال الأمثال التي تكرس لدونية المرأة والحط من شأنها، وتبدي عقلية المجتمع القروي، فقد كانت المرأة دوما مادة ثرية للأمثال العربية القديمة، غير أن هذا الحضور يكتسب أبعادا أكثر اختلافا، إذ رأت هذه الثقافة المرأة مخلوقا ناقصا لا يكتمل بذاته، وتبرز هذه الأمثال أنساقًا مضمرة تشير في مجملها عن سوء الخُلق، وتلغي دور المرأة في المجتمع، إذ تظهر كشخص ماكر ومتسلط وخائن والتي بدورها تعكس جزءا هاما من العنف الاجتماعي الممارس ضد المرأة، مكرسة بذلك التسلط الذكوري، وكاشفة لنا نهج الثقافة السلطوية الذكورية التي يسعى المجتمع لترسيخها.

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث نخلص الى مجموعة من النتائج من أهمها ما يأتي:

-تعد الرواية في العصـر الحديث من اكثر الاشـكال الفنية قدرة اليوم على احتضـان القضـايا المسـتجدة، والأقدر على تشـخيص التحولات الراهنة، فهي مرتبطة في نشـأتها وتطورها بمعالجة القضايا الاجتماعية وفي مقدمتها المرأة وقضية تحررها.

-يقوم النص الروائي موضـوع البحث على التجربة الذاتية الواعية من خلال سـيرة حياة بطل الرواية التي يقدمها الكاتب، وما تعانيه من ازمات نفسـية فرضـتها طبيعة المجتمع عليه، فالكاتب يروي القلق الوجودي لبطل الرواية، وكشـف اسرار مجتمعية وتحولات تاريخية مهمة وشؤون حياة متحكمة في الخفاء.

-تمثلت الهوية في الرواية بأنسـاق مختلفة، إذ شـكّل تنازع الهوية بعدًا محوريًا في نسـيج المتن الروائي، وانماز بكونه ملتبسا ومشحونا بالتناقضات والمفارقات والاغتراب، وتتنازع فيه الشخصية الروائية بين عدة انتماءات تحملت دلالات كثيفة ومشـحونة عبرت عن اختناق شـخصـية الرواية وحيرتها أمام سلطة المجتمع .

- تعد الهوية الجندرية نسقًا مهما في الرواية ولاسيما فيما يتعلق بأزمة إنجازية الجندر. في ضوء معالجة فنية تسـلط الضـوء على الادوار التي يقوم بها الجنسـان، وهي ادوار تشـكلها التنشـئة الاجتماعية وليس الاختلاف البيولوجي.

-وظف السـرد الروائي موضـوع الاعراف والتقاليد المجتمعية وتناولوها بكثير من التحليل والتشـخيص، إذ يسـلط الكاتب في روايته الضـوء على المسـكوت عنه ومكاشـفات مجتمعية، بنقد المجتمع القروي وتعرية أنساقه المضمرة وكشف الحيل النسقية القابعة خلفها.

-اجادت الرواية بطريقة ذكية في توظيف موضوع الرواية مع عناصر السرد الاخرى كالشخصيات الحدث والمكان والزمان، لتحقق وحدة العمل الادبي الفني في الرواية .

المصادر والمراجع

-ادونيس. (٢٠٠٢). *موسيقى الحوت الازرق الهوية الكتابة العنف*. ط١. دار الآداب. بيروت.
- المسكيني، فتحي المسكيني. (٢٠٠١). *تأويلات فينومينولوجية لمسألة النحن*. ط١. دار الطليعة. بيروت .
- باركر، كريس باركر. (٢٠١٨). *معجم الدراسات الثقافية*. ط١. دار رؤية. القاهرة.
-بركات، حليم بركات. (٢٠٠٠). *المجتمع العربي في القرن العشرين بحث في متغيّر الأحوال والعلاقات*. ط١. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
- الغانمي، سعيد الغانمي. (٢٠١٠). *مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع*. المنظمة العربية للترجمة. بيروت.
-الجابري، محمد عابد. (٢٠١٢). *مسألة الهوية العروبة والإسلام*. ط٤. مركز دراسات الوحدة العربية.بيروت .
-النعاس، محمد النعاس. خبز على طاولة الخال ميلاد. ٢٠٢٢.ط٨. دار الرافدين.
-الخليل، سمير الخليل.(٢٠١٦). *مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي*. دار الكتب العلمية.
-العمر، معن خليل .(٢٠١٥). علم اجتماع الجندر، ، دار الشروق للنشر .
-ريكو، بول ريكو. (١٩٩٩). *الوجود والزمان والسرد*. ط١. المركز الثقافي العربي.بيروت.
-العتيبي، سارة العتيبي. (٢٠٢٠). *الدليل المرجعي المصطلحات والمفاهيم الاساسية وتمارين تدريبية حول الجندر*. الوكالة الامريكية الدوليى. عمان-الاردن.
-ابراهيم، د.عبدالله ابراهيم (٢٠١١). *السرد والاعتراف والهوية*. ط١. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
-كاظم، نادر كاظم. (٢٠١٦). *الهوية والسرد دراسات في النظرية والنقد الثقافي*. ط٢. دار الفراشة للنشر والتوزيع.
-محمد، مازن مرسول. (٢٠١٥). *حفريات في الجسد المقموع مقاربة سوسيولوجية ثقافية*. ط١. منشورات ضفاف.

المجلات والدوريات:

-الجبوري، محمد فليح. (٢٠٢١). الهوية السردية: المفهوم والتجلي. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية. المجلد ١٨.ع277 :B1، 286.
-وطف، علي وطف. (١٩٩٨). مظاهر الاغتراب في الشخصية العربية. مجلة عالم فكر. مج٢٧. ع٢.١٩٩٨ , ٣٤٧.

Sources and references

-Adonis. (2002). Blue Whale music, identity, writing, violence. 1st edition. House of Arts. Beirut.
-Al-Miskini, Fathi Al-Miskini. (2001). Phenomenological interpretations of the issue of we. 1st edition. Vanguard House, Beirut.
Parker, Chris Parker. (2018). Dictionary of cultural studies. 1st edition. House of vision. Cairo.
-Barakat, Halim Barakat. (2000). Arab society in the twentieth century is a study of changing conditions and relationships. 1st edition. Center for Arab Unity Studies. Beirut.
-Al-Ghanimi, Saeed Al-Ghanimi. (2010). New terminological keys, a dictionary of

culture and society terms. Arab Organization for Translation. Beirut.

-Al-Jabri, Muhammad Abed. (2012). The issue of identity, Arabism and Islam. 4th edition. Center for Arab Unity Studies, Beirut.

-Al-Naas, Muhammad Al-Naas. Bread on uncle Milad's table. 2022.8th edition. Dar Al-Rafidain.

-Al-Khalil, Samir Al-Khalil. Terms of cultural studies and cultural criticism. House of Scientific Books.

-Omar, Maan Khalil. Gender Sociology, Al-Shorouk Publishing.

-Rico, Paul Rico. (1999). Existence, time and narrative. 1st edition. Arab Cultural Center, Beirut.

-Al-Otaibi, Sarah Al-Otaibi. (2020). Reference guide to basic terms and concepts and training exercises on gender. American International Agency. Ammaan Jordan.

-Ibrahim, Dr. Abdullah Ibrahim (2011). Narrative, recognition and identity. 1st edition. Arab Foundation for Studies and Publishing.

-Kazem, Nader Kazem. (2016). Identity and narrative studies in theory and cultural criticism. 2nd ed. Dar Al Farasha for Publishing and Distribution.

-Muhammad, Mazen Marsool. (2015). Excavations of the oppressed body: a sociocultural approach. 1st edition. Defaf Publications.

Magazines and periodicals:

-Al-Jubouri, Muhammad Falih. (2021). Narrative identity: concept and manifestation. University of Sharjah Journal for Humanities and Social Sciences. Volume 18.A B1: 277, 286.

-Watf, Ali Watf. (1998). Manifestations of alienation in the Arab personality. World Thought Magazine. Volume 27. Issue 2.1998, 347